مقياس البنيوية وما بعدها ثانية ماستر : أدب حديث ومعاصر د. أحمد خضرة

المحاضرة الأولى

البنيوية : المفهوم والأصول

البنيوية او البنائية تيار فكري يهدف الى الكشف عن بنية الفكر الذي يشكل أساس ثقافة الحاضر والماضي ، والى تقعيد الظواهر وتحديد مستوياتها وتحليليها للكشف عن العلاقات التي تتشكل منها .

البنيوية رد فعل فكري كان يتحدث عن تشظي المعرفة وتفرعها الى تخصصات دقيقة ومنعزلة ، ولذلك دعت البنيوية الى النظام الكلي المتكامل والمتناسق الذي يوحد ويربط العلوم بعضها ببعض .

وهكذا يمكن القول " (ان فكرة الكلية او المجموع المنتظم هي في أساس ومن مرتكزات البنيويو كفكر وفلسفة جديدة .

ان الهدف من البنيوية هو تطوير المنهج العلمي للوصول الى الحقائق الموضوعية المحايدة بعيدا عن تأثرا الذات الإنسانية والتاريخ والبيئة المحيطة .

اقد نشأت البنيوية في مطلع القرن العشرين نشأة لغوية ، وما إن تأسست لعويا ، حتى اقتحم منهجها دراسة المجالات المعرفية المحتلفة ، وقد أسهمت في هذه النشأة مدارس وجماعات لغوية بداية من مدرسة جنيف ثم الشكلية الروسية ثم حلقة براغ اللغوية ثم مدرسة كوبنهاجن وأخيرا المدرسة الامريكية فالنقد الجديد ، وكان من الطبيعي ان تتفق تلك المدارس والجماعات حول بعض المبادئ وتختلف حول بعضها الآخر كل حسب اتجاهه اللغوي .

وللبنيوية – بناء على ما تقدم – امتدادها في علوم كثيرة كالفيزياء والرياضيات وعلم الاجتماع والسياسة وغيرها ، وما الادب والنقد الادبي الا واحد من تفرعاتها المعرفية الكثيرة ، انها في معناها الواسع – طريقة بحث في الواقع كله لا في أشيائه الفرعية بل في العلاقات بينها ، ومحاولة اكتشاف القوانين الشاملة التي تتحكم فيها من علم اللغة ونظامها .

تزعم البنيوية – ولا سيما في عصر الشك الغربي الذي تعيشه هذه القرون الحديثة – انها تملك المفاتيح لمغاليق المعرفة كلها وانها قادرة على تفسير كل شيء ، وذلك بما تملكه من روح التسامح التي تعيشها على قبول القرائن التي تتعارض في ظاهرها ، وذلك من خلال الولع باكتشاف الأنماط ،

والبنيوية وليدة حركات فلسفية وجمالية ونقدية ولسانية مختلفة ، وهي ذات صلة وثيقة بحركة الحداثة ، او هي احدى مكوناتها الأساسية ، وهي متصلة بالدراسات اللغوية الحديثة ، ومدرسة النقد الجديد وعلم الجمال والمدرسة الرمزية ، وقد انحدرت من رحم ذلك كله ، البنيوية اذن طريقة بحث في الواقع ، لكن ليس في الاشكال الفردية ، بل في العلاقات بينها ، ففي النقد الادبي مثلا عمل البنيويون على اكتشاف القوانين العامة التي تتحكم في الاستخدام الادبي للغة .

ولقد خالفت البنيوية الفلسفة في مقولات الوجودية والذات والانسان والتاريخ ، وأصبحت تتحدث عن البنية والنسق والنظام واللغة وما شاكل ذلك ، فهم يرون ان لكل شئء بنية ، ويمكن تفسيره من خلال معرفة هذه البنية ودراسة مكوناتها ، وهم يركزون في الدراسة على العلاقات التي تنشأ داحل البنية لا على العناصر المفردة المكونة لهذه البنية ، انها اذن تأكيد على الكلية وعلى معرفة ترابط أجزاء الشيء بدلا من التركيز على ماهيته .

وقد ارجعت البنيوية جميع انواع الثقافة في جوانبها كافة الى اللغة أ إذ ادعت ان اللغة هي النموذج المهيمن على جميع أنشطة الانسان ، وهي وراء إدراكه للاشياء على نحو معين ، حتى ذهب سوسير الى ان طرق استجابتنا للواقع وادراكنا له تمليها بنية اللغة التي نتحدث بها .وان جميع أنواع الثقافات المختلفة تتكون من منظومات ذات بنية متشابهة لبنية اللغة ، ولذلك فان البنيوي يحاول رسم خارطة للاعراف والقواعد والنطم التي تحكم جوانب السلوك الاجتماعي كلها .

اذن البنيوية ليست مقصورة على الادب او النقد الادبي ، بل ان امتدادها في الادب ما هو الا وجه واحد من وجوهها الكثيرة ، وامتداداتها المعرفية المتعددة

يعد العالم اللغوي السويسري فردينان دي سوسي (1857م – 1913م) مؤسس اللغويات في العصر الحديث الاب الروحي للبنيوية بما أحدثه من طفرة في دراسة اللغة دراسة آنية ، اذ قدم في كتابه " علم اللغة العام " المبادئ اللغوية التي أحدثة ثورة حقيقية في لغويات العصر الحديث والتي قامت عليها البنيوية فيما بعد .

ثم ان الانثروبولوجي الفرنسي ط ليفي شتراوس " الذي التقى في نيويورك " رومان جاكبسون " الالسني الروسي مؤسس الشكلية الروسية ، وتعرف البنيوية من خلاله ، استدمها في مجال دراسته وصارت مهمة ما عرف ب " الانثروبولوجيا البنيوية " وهي " دراسة الالفاظ او البنيات التي تقسم خبرة الواقع ، وتوضح الطريقة التي تعمل بها هذه الأنماط والبنيات ، كل على حده في علاقة كل منها بالآخر ، وقد ادرك شتراوس ان المناهج التقليدية من تاريخي واجتماعي وغيرها لا تسفر عن نتائج يقينية أو مقنعة ، وان النموذج اللغوي يمكن ان يطبق على معارف كثيرة لانها " منظومات ذات بنية متشابهة لبنية اللغة " وهو ما عرف بالأنثروبولوجيا البنيوية ، ولعل هذ الامتداد الهائل للبنيوية الى الدراسات المختلفة في العلوم الطبيعية والانثروبولوجية واللغوية الأدبية وغيرها هو الذي حمل بعض الدارسين على ان يراها منهجا وليست مجرد مصطلح أو مذهب .

المحاضرة الثالثة

البنيوية السويسرية ونقدها

ان الدراسات التي قدمها فردينان دي سوسير ما بين 1906 و 1911م ، لمن أهم الدراسات في اللسانيات البنيوية ، فقد كان اول من دعا الى دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها دراسة وصفية آنية للبحث في نظامها وقوانينها دون الاهتمام بجوانبها التاريخية التطورية الزمانية .

فاللغة ليست مجرد آلية مادية صوتية ، بل هي نظام لغوي مشترك بين الجماعات اللغوية التي تنتمي لرقع جغرافية متشابهة قصد تحقيق عملية التواصل .

ومن اهم ما ادرج ضمن التنظير السويسري نذكر ما يلي :

1- **الدراسة اللغوية والدراسة التاريخية** : ميز دي سوسير بين الحالة الآنية للغة (دراسة لغوية) ، وبين نشوء اللغة وتطورها وتحولاتها (دراسة تاريخية) أي المحور التزامني والوصفي .
2- **اللغة نظام من الإشارات** : فاللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن اعراضهم قصد التبليغ والتخاطب والتواصل ، وهي نظام يتألف من مجموعة من العلامات اللغوية ، وهي عبارة صوتية (الدال) تتحد مع التصور الذهني (المدلول) والعلاقة بينهما عرفية وغير معللة او مبررة .
3- **اللغة والكلام** : langue – parole ، اللغة نظام ومؤسسة ومجموعة من القواعد والمعايير التواصلية ، فهي عمل جماعي متواجد في ذهن المتكلمين بكيفية اعتباطية لا شعورية ، وان الكلام هو التطبيق الفعلي لهذه القواعد والقوانين ، والمقصود هنا هو الآداء الفردي للغة .
4- **الدليل اللغوي** : كيان نفسي ذو وجهين هما الدال والمدلول ، والدليل اللساني هو الذي يقرن الدال بالمدلول بكيفية اعتباطية ، والاعتباطية هو عدم خضوع علاقة الارتباط بين الدال والمدلول الى التعليل والتبرير العقليين ، لذلك لا الدال سابق المدلول ، ولا المدلول سابق الدال ، فكلا قد اوجده الوضع والاصطلاح في لحظة زمنية واحدة .

نقد البنيوية السويسرية :

لعله من اهم الانتقادات التي وجهها الدارسون والنقاد لبنيوية دي سوسير نذكر ما يلي :

- قاد الاهتمام ببنية الاعمال الأدبية التي يفترض البنيويون انها نظام مشترك الى إهمال الخصوصيات الفردية والفروق الفردية بين إنتاجية النصوص الأدبية .
- تحول النص الادبي الى هيكل مادي خال من روح الادب وانسانيته وفرديته ومضمونه ورسالته .

- إسراف البنيوية السويسرية أكثر من النقد الشكلاني الجديد حين ترى ان الادب بنية لغوية مستقلة ذاتيا ، منقطع عن أي مرجعية ، وهو ميدان مغلق كتيم يحتوي الحياة والواقع في نظام من العلاقات اللغوية .

المحاضرة الثانية

نقد البنيوية

اثارت البنيوية التي انحدرت من رحم فكر مادي كثيرالا من اللغط والجدل ، لذلك نجد في البنيوية انحرافات فكرية وفنية كثيرة ومن بينها :

أولا : المرجعية الفلسفية للنقد البنيوي : قامت البنيوية على مجموعة من المؤثرات الفلسفية ، كانت خلاصة صراع فكري عنيف بين الفلسفة المثالية والفلسفة المادية ، حيث أخذت البنيوية قبسها النقدي من ذلك الجدل وسببه مشكلة الحقيقة أو مصدر المعرفة الإنسانية ، وانقسم الفلاسفة الى فريقين :

فريق يرى ان مصدر الحقيقة يكمن خارج الأشياء ، ومنحت السلطة للذات في الكشف عن الحقيقة .(الحقيقة معرفة معنوية وذاتية)

وفريق يرى ان مصدر الحقيقة يكمن في داخل الأشياء ،ى ومنحت السلطة للعقل ،(الحقيقة معرفة حسية)

ثانيا : ثنائية الداخل والخارج : قامت على ثنائية فلسفية هي ثنائية الداخل والحارج ، والبنيوية انتصرت الى قطب الداخل في تركيزها على العلاقات الداخلية من الوحدات المنتمية في عمومها الى البنية .

ثالثا : الانحرافات الفكرية : ومنها :

البنيوية ابنة حضارة معينة هي الحضارة الغربية ، وقد ولدت في عالم فقد اليقين والايمان بأيّ شيء محدد أو ثابت ، يقول تيري ايغلتون : (محاولة اكتشاف موطئ قدم لليقين في عالم محدد جدا فيه اليقين صعب المنال ، فالمحاضرات التي شكلت كتاب سوسير " محاضرات في الالسنية العامة " القيت في قلب اوربا بين 1907 – 1911 ، على شفير الانهيار التاريخي الذي لم يعش سوسير نفسه حتى يراه .

البنيوية ذات نزعة مادية ، وهي بذلك ضد الدين ، يقول تيري ايغلتون (ساسلة محاولات مشؤومة قامت بها النظرة الأدبية لاحلال شيء آحر أكثر فاعلية محل الدين ، وهي دين العالم الحديث .

فهي فكر مادي انعكس في مقاربتها النقدية للعمل الادبي ، فهي لا تهتم الا بجانبه المادي المتمثل في اللغة ، فالبنيوية لم تعط قيمة لمضمون العمل الادبي أو قيمه أو مثله أوالفكر الذي يتضمنه عاكسة مفاهيم مادية كان للماركسية والفرويدية تأثير فيها .

وفي سبيل حرص البنيوية على اكتشاف بنية مستقلة لكل شيء ، نظرت الى الأشياء جميعها على انها ذات نظام متكامل ، او بنية مستقلة قائمة بذاتها لا تحتاج الى أي شيء خارجها ، وهذا تفكير خطير يحمل في أثنائه فكرة السبب والمسبب ، وفكرة الخالق المدبر ، وان كل حدث لا بد له من محدث ، ان هذا يعني ازاحة الذات الفاعلة ، والنظر الى الأشياء على نحو يبدو معه بناؤها نظاما آليا يعمل بطريقة لا واعية تتجاوز أرادة الافراد .

وتتحدث البنيوية دائما عن هذه البنية الثابتة بمعزل عن الذات والتاريخ والمجتمع وما شاكل ذلك ، فهي بنية لازمانية .

ومن سلبيات البنيوية خلعها للنصوص مهما كان مصدرها سماويا او بشريا عن مرجعيتها الفكرية وسياقها الحضاري ، والبنيوية بتعبير ايغلتون (لا إنسانية) بمعنى ترفض فكرة ان التجربة الفردية هي مصدر الادب ، وهي مبتدأ المعنى وخبره

رابعا :الانحرافات الفنية :

تمتد البنيوية بنسبة وثيقة إلى حركة النقد الجديد ونزعتها الشكلانية واهتمامها العنيد بالأدب بوصفه موضوعا جماليا وليس لممارسة اجتماعية ,ولكن البنيوية تحاول أن تخرج كل ذلك بشكل أكثر نظامية و " علمية " بكثير ، وذلك من خلال بيان أن الأدب يعمل من خلال قوانين موضوعية معينة .

لعلّه ما يؤخذ على البنيوية أنها ليست " علما " كما يرون ، فترى إنما هي شبه علم يستخدم لغة ومفردات معقدة ورسومات وبيانات وجداول متشابكة لا تضيف إلينا شيئا جديدا ، وتستخدم الأرقام والأشكال الهندسية التي تعمي قراءة المتلقي وتفسيره للنص .

كما يضيف عبد العزيز حمودة في كتابه " المرايا المحدّبة " ، يقول (إن خطورة النموذج البنيوي تكمن في افتراض أن النص مغلق ونهائي ، فالقول بوجود نسق أو نظام عام للنوع تدرس في ضوئه الأنساق / النصوص الفردية يعني بالدرجة الأولى وجود نسق عام مغلق ونهائي) كما يؤكد الناقد ويتساءل على كيفية تحديد النسق النّصّي من خلال نهائية المعنى للمنتج اللغوي المغلق ، (إذ كيف نحلل نصًّا فرديا في ضوء نسق غير مكتمل ؟ وما يفعله الناقد البنيوي ، مسلحاً بتلك الصيغة الآلية المسبقة هو تحليل النص في ضوء أحكامها وقوانينها)

ويردف ذلك الناقد في قوله (وحيث أن المؤلف في المنظور البنيوي قد مات ، وأنّه لا مكان في النص لقصدية مؤلف لا وجود له ، وأن النص مغلق ذاتي الدلالة ، فإنّ وظيفة الناقد البنيوي هي إنطاق النص ، حتى لو كان ذلك يعني أنطاقه بأشياء ليست موجودة فيه) وهذا ما فعله كمال أبو ديب بصورة واضحة ومستفزة في تعامله البنيوي مع القصيدة الجاهلية .

وقد أسرفت البنيوية أكثر من النقد الشكلاني الجديد في استقلالية الأدب عن كل شيء ، وإذا كان النقد الجديد رأى في الأدب ضربا من معرفة العالم, فإن البنيوية نظرت إلى الأدب على أنّه بنية لغوية مستقلة ذاتيا ، متقطعة تماما عن أية مرجعية تتعداها ، وميدان مغلق كتيم يحتوي الحياة والواقع في نظام من العلاقات اللغوية .

وذلك أن البنيوية في اعتماد النموذج اللغوي وحده ، والتعويل عليه وكأنه كل شيء ، لقد جعلت البنيوية من اللسانيات وسيلة وغاية معا, بدل أن تكون وسيلة فحسب .

ولا غرو أن الإعتداد بالنموذج اللغوي وحده في درس الأدب قاد إلى الغلو والتطرف في استبعاد المجتمع والتاريخ والنفس من هذه الدراسة, وقطع

النصوص عن كل صلة لها بالخارج ، حتى قادهم ذلك إلى ما سمّاه بعض النقاد وعلى رأسهم عبد العزيز حمودة ب " سجن اللغة " والتي ربطها بسجن العقل (بداية الحديث عن سجن اللغة ، أو القول بأنّ اللغة قد أصبحت في الرؤية البنيوية سجنا للعقل ، بعد أن أصبحت هي أداته الوحيدة للمعرفة ، بل محتوى العقل ذاته ...

وقد أصبح ذلك التّصور للغة حجر الزاوية في الدراسات الناقدة للبنيوية كنموذج لقصور المشروع البنيوي ، ثم أن صورة سجن اللغة نفسها لم تكن شيئا ابتدعه جيمسون أو نحته من فراغ ، فهي مجرد تحريف لصورة أخرى سابقة طورها نقاد فلسفة كانط المثالية ,حيث أصبح العقل من وجهة نظر الرافضين لمثالية الفيلسوف الألماني سجنا للمعرفة

نزعت البنيوية أهمية الذات المبدعة ، وأسقطت عبقرية الفنان وتميزه ، ومن خلال تبنيها لفكرة " موت المؤلف " والتناص ، لم يحد هذا المؤلف سوى ناسخ لنصوص وكتابات أخرى ، والنص – هذا الإبداع الجميل – لا يعدوا أن يكون حصيلة مجموعة سابقة من النصوص اختزنها المؤلف في ذاكرته ، وهو يعيد إنتاجها أو تأليفها من جديد .

وهكذا لا يعدو المؤلف – هذا الموهوب العبقري عند مناهج نقدية أخرى – أن يكون – في نظر هؤلاء البنيويين (غير جامع أو لام لكتابات قد مرّت به ، أن درجته تنحطّ إلى درجة الصفر ، وعلينا عندئذ أن نعود إلى النّص ، أن نقرأ اللغة وحدها ، أنّ اللغة وحدها عندئذ كما يقول " بارت " هي التي تتكلّم ، وليس المؤلّف) ، فالنص عندهم لا يقول شيئا عن مبدعه أو انعكاس لشخصيته كما كانت تقول المناهج السياقية كالمنهج النفسي والمنهج التاريخي مثلا (إن الصّيد كلّه في جوف " النّص " ,وما المؤلف إلا ناسخ متناص مع كتابات قديمة لا حصر لها ، وهو عندئذ حريّ أن يُستبعد من الحكم النقدي ، بل أن ينفى . بل أن يحكم عليه بالموت)

وهذا كله – في رأينا – كلام فيه الكثير من الغلو والشطط ، وذلك أنّ عودة المؤلف إلى نصوص سابقة – شعوريا أو لا شعوريا – وتناصه معها أو

استفادتها منها بأية صورة من الصور ، لا ينفي حضوره ، ولا يعني إلغاءه تماما عن العملية الإبداعية .

إنّ المؤلف نراه لا يموت أبدا ، والنّص هو أصل العملية النّقدية ، وهو مصدرها ، ولكنّه لابدّ أن يعتمد أحيانا قليلة أو كثيرة ، على معرفة بالمؤلف وظروفه ، أو ظروف إنشاء النص وملابساته ، وقد يعين ذلك على تفسير النص وإن لم يعن على تقويمه .

ومن المآخذ على النقد البنيوي" الغموض " أي غموضه وكثرة مصطلحاته ,ممّا حجب وصول هذا النقد حتى إلى المتخصّصين أنفسهم، حيث (تعدّ ظاهرة الغموض أو الاكتناز الدلالي – كما يطلق عند الحداثيين – من أبرز الظواهر التي تُميّز فكر الحداثيين في كثير من إصداراتهم وحتى في مقولاتهم النقدية التنظيرية) والعجيب في ذلك كله أنّهم يعتبرون أن حياة الحداثة في غموضها وموتها في ظهور حقيقتها ، وكأن الغموض دلالة على جمالية وحياة الإنتاج سواء أكان إبداعيا أم نقديا .

المحاضرة الخامسة

البنيوية عند بنيفيست.

اذا كانت مدرسة جنيف اللسانية ، وكذا حلقة براغ قد أثرتا في الدراسات الإنسانية والأدبية ، فإن لسانيات بنيفست e.beneveniste قد تأخّر تأثيرها في البنيوية الأدبية ، لان مقالاته التي نشرت متفرقة ، لم يجمعها مؤلف كامل الا في زمن متأخر بعنوان " (مشكلات اللسانيات العامة) .

وصف بينيفست العصر الحديث الذي كان يعيش فيه بأنه ميال الى اصطناع النزعة البنوية بدل النزعة الذرية والعالمية بدل النزعة الفردية ثم واصل مشروع دي سوسير اللساني والسيميائي فعمق بذلك المفاهيم الكبرى للسانيات العامة وجعلها قابلة للتطبيق في الدراسات الأدبية والنقدية ، ومن هذه القضايا مفهوم اعتباطية العلامة ، الدال والمدلول ، اللسان والكلام ، ولمنه لم يبق أسير النظرة المحايثة للسان مما جعله يتجاوز الحدود الصارمة التي وضعت اللسانيات العامة نفسها في إطارها .

أن من اهم تلك التعديلات الجوهرية التي أدخلها بنيفيست على اللسانيات البنوية نذكر من أهمها :

1-الخصائص الشكلية للتلفظ .
2-التمييز بين الخطاب والقصة (histoire)
3-مدخل الى ثنائية السيمائية والدلاليات .

مما هو ملاحظ فان بينيفست استطاع ان يتجاوز الدائرة الضيقة لاهتمامات الدراسات اللسانية ويخطو بها خطوات كبيرة جعلها ذات صلات حميمة بالدراسات النقدية ، الامر الذي ترتب عنه ميلاد توجه في اللسانيات عرف باللسانيات الخطابية (linguistique discursive) ،ويمثل مرحلة متقدمة في الآفاق المفتوحة امام

اللسانيات ، ومن ذلك التحدث عن قضايا لم تكن مرغوبة لدى اللسانيين ، ولم تكن معدودة من أولويات البحث اللساني ، ومن ابرو هذه القضايا نذكر منها :

أ- الذاتية في اللغة

ب-اللغة والتجربة الإنسانية

ت-الجهاز الشكلي للتلفظ .

يعتقد بنيفيست ان الفضل يعود الى اللغة التي شكلت الانسان بوصفه ذاتا ، أو إن شئنا بالمفهوم النفسي " الانا " ولكن ما يلاحظ عليه في تعريفه لمفهوم الذاتية ، أمها أميل الى الحد الفلسفي والنفسي منها الى الحد اللساني ، بيدا ان بنيفست ينطلق من داخل اللغة للبرهنة على حضور الذاتية فيها ، ومن الأمثلة على ذلك ضمير المتكلم (أنا) وضمير المحاطب (انت) ، وكذلك بعض العلامات اللسانية مثل الإشارة والظرف والصفة ، فهي كلها عوامل تشكل الابعاد الزمانية والمكانية التي تحيط بالذات ، وحتى زمن الفعل (الماضي – الحاضر – المستقبل) في اللغة العربية ، ولكنه لم يسلم من نقد بعض اللسانيين والنقاد ، وهو يعالج العلاقات الزمانية في الفعل الفرنسي .

إذا أبنا الى مفهوم الذاتية لدى بنيفست نلفيه يربطه بالتلفظ الخطابي ، مما يشجع على وهم الكتابة البيضاء ، وفي هذا السياق يرى بيير كانتر بأن بينيفست يترك الجال واسعا للاعتقاد بان إزالة مظاهر الذاتية في التلفظ يفضي الى تحقيق شكل من أشكال درجة الصفر في الخطاب ، ولا نفاجأ حينها بأن هذا الرأي يساعد على إغراء محللي الخطاب ، ويسمح بالاختفاظ بالاسطورة التي ينجزها هذا الاجراء ، وكل ما يمكن قوله بخصوص لسانيات بينيفست أنها كانت غنية بنظرية التلفظ .

المحاضرة الرابعة

الشكلانية عند جاكبسون

تبدأ هذه المدرسة بعام 1914م ، أي قبل الثورة الشيوعية في روسيا ، وقد انبثقت عن مجموعتين صغيرتين من الطلاب هما مجوعة أبوياز ، واسمها الكامل " جمعية دراسة اللغة الشعرية " ومركزها بطرسبورغ ،وكان من اشهر نقادها فيكتور شلوفسكي ، وبوريس إيخنباوم وغيرهم وجمعية موسكو اللغوية ، وكان من أبرز نقادها المنظر اللغوي البارز " رومان جاكبسون " .والذي سيكون مدار حديثنا في هذه المحاضرة .

غادر جاكبسون موسكو عام 1920م ، بعد ان ضيقت عليه السلطات الشيوعية ، وصدر عن اللجنة الأدبية للحزب الشيوعي السوفييتي قرار بحل جميع المجموعات الأدبية .

اتجه جاكبسون – بعد مغادرته موسكو – الى براغ عاصمة تشيكسلوفاكية لينضم الى حلقة " براغ اللغوية " ويصبح عضوا مؤسسا فيها ، وأعلنت الخطوط الكبرى لطروحات هذه الحلقة في مؤتمر عقد في لاهاي عام 1928م ، ولكن هذه الحلقة انحلت عام 1939م ، بفعل الاحداث السياسية كذلك ، وتعد شكلانية براغ أو بنيوية براغ كما يسميها بعضهم امتدادا للشكلانية الروسية ومتممة لها ، ولذلك يعدها الباحثون مدرسة واحدة ، ومن براغ انتشرت الشكلانية الروسية والتي تسمى كذلك بالبنيوية الروسية أو بالبويطيقيا ، أو السيميوطيقيا – في أوربا التي كانت تسودها موجات النقد الجديد واللسانيات السويسرية ، وكان للشكلانية الروسية دور هام في تطوير البنيوية الفرنسية مثلما كان لهذه الثانية تأثير فيها ودور في نشأتها ، ويبدو ان رومان جاكبسون هو الذي ابتكر مصطلح البنيوية .

هاجر رومان جاكبسون الى الولايات المتحدة الامريكية حيث التقى الانثروبولوجي العروف " ليفي شتراوس " في اثناء الحرب العالمية الثانية ، وتوطدت بينهما علاقة قوية كان لها الفضل الكبير في تطور البنيوية الحديثة ، وتعد أعمال جاكبسون أفضل خلاصة لأعمال الشكلانيين ، فقد تميّز هذا الفكر الذي قادته مهنته المثقلة من روسيا الى براغ ، ومنها الى السويد فالولايات المتحدة الامريكية بسعة العلم وتعدد الاختصاصات ، وحسن الإحاطة ، وهو أمر يعطي صورة عن المثقف المنفي في القرن العشرين .

والشكلانية هي التطبيق العملي للألسنية ، ألسنية دو سوسير التي أثرت كثيرا في تفكير الشكلانيين ، وحاصة في تفكير رومان جاكبسون ، بواسطة أعمال " سيرجي كارشفسكي " الذي كان أحد تلاامذة دي سوسير

مبادئ الشكلانية الروسية :

ان المناهج النقدية الشكلانية الحداثية وما بعد الحداثية في جميعها رفض للمناهج التقليدية ، ورفض للاهتمام بخارج الادب من تاريخ واجتماع وسياسة وعلم نفس وما شاكل ذلك .

وعلى العموم فان ابرز الملامح النقدية التي جاءت بها الشكلانية الروسية وشكلانية براغ هي :

1- السعي الى إيجاد " علم أدبي " يصفه جاكبسون – أبرز نقاد هذا الاتجاه – بقوله " (ليس موضوع " العلم الادبي " الادب بل الأدبية ، أي تلك الخاصية التي تجعل عملا ما أدبيا) ، ومن هنا كان الشكلانيون مهتمين بالمظاهر الممثلة أو المعتبرة في النصوص الأدبية ، إذ ركزوا في النصوص على تلك العناصر التي عدوها مغرقة في خاصيتها الأدبية .

2- تركيز الاهتمام – بروح علمية وعملية – على الواقع المادي للنص الادبي ذاته ، من واقع ما ذكرناه من أنه بنية لغوية مستقلة ، له قوانينه الخاصة ، والادب هو استعمال خاص للغة ، والشعر بوجه خاص هو الاستعمال الأمثل لهذه اللغة .

3- تمييز اللغة الأدبية من لغة الخطاب العادي ، من حيث انها تمثل خروجا عن اللغة الاعتيادية ، لجعلها لغة غريبة خارجة عن الرتابة ، ان الخطاب الادبي – كما يقول ايغلتون – (يغرّب او يستلب الكلام الاعتيادي) ، وبسبب من هذا التغريب ، فان العالم اليومي أيضا يصبح فجأة غير مألوف ، ففي رتابة الكلام اليومي تصبح إدراكاتنا للواقع واستجاباتنا له " بائخة " كليلة أو " مؤتمنة "كما يقول الشكلانيون ، ان اللغة الأدبية عند الشكلانيين " بمثابة طقم من الانحرافات عن معيار ، ونوع من العنف الالسني ، فالأدب نوع خاص من اللغة ، بخلاف اللغة الاعتيادية التي تستخدمها على نحو شائع .، وبالتالي فلا بد من التركيز على أدبية الادب ، وشعرية الشعر المتمثل في تلك الاستخدامات الخاصة للغة ، التي تميز الادب وتحقق له أدبيته .، وهذا التمييز بين اللغة الأدبية وبين لغة الكلام العادي أصبح من المباحث الأساسية التي يهتم بها ما عرف بعلم الاسلوبية أو الاسلوبية ، يقول جاكبسون في تعريف الاسلوبية : (الاسلوبية بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا ، وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية .

4- وانطلاقا مما سبق عارضت الشكلانية عامة ، الطرق التقليدية السائدة في النقد الادبي كما ذكرنا سابقا ، والتي اهتمت بخارج النص وعدته تمثيلا للحياة ، او الواقع ، او المؤلف ، ووصف جاكبسون " تاريخ الادب التقليدي بأنه خليط مفكك من فروع معرفية نظرية ، وقارن أسلوبها بأسلوب البوليس الذي يكون عليه – حين يؤمر بإيقاف شخص معين – أن يأخذ معه للتحقيق كل شخص وكل شيء تصادف وجوده في شقة

المتهم ، وبالمثل أخذ مؤرخ الادب – وهو يسير – كل شيء صادفه في طريقه بدون تمييز ، العرف وعلم النفس والسياسة والفلسفة ، وراى جاكبسون أن إقحام " غير الادبي " في النقد (حوّل المؤرخين الادبيين الى ممارسين لما أسماه بفروع شعبية قائمة على علم النفس والسياسة والفلسفة ، وغدا الادب غير قادر على تقديم أكثر من بيئات ثانوية أو ناقصة .

5-ليس للمعنى أي شأن يذكر في رأي الشكلانيين ، وكما يقول جاكبسون : (جوهريا ، نحن نتعامل مع الحقائق اللفظية ، وليس مع الفكر)، فالمعنى غير مطروح في عرف الشكلانيين الروس ، وهم بذلك يختلفون مثلا عن الشكلانيين من النقاد الجدد الأمريكيين ، إذ كان هؤلاء ومن قبلهم تواقين مثل غيرهم الى فصل الادب عن سياقه التاريخي وعن السيرة ، غير : (أن الفن وجد – في نظر النقاد الجدد – لكي يؤدي معنى ، وان يكن معنى ما من حديث منطقي قادر على التعبير عنه ، ولذلك اعتبروا مسائل الشكل وسيلة يمكن بواسطتها استرداد معاني الادب غير العقلانية .

6- اهتمت الشكلانية الروسية بالشعر خاصة ، وكان هذا الجنس هو الشاغل الأول لتفكيرهم ، وكان هو نقطة انطلاق النظرية الأدبية الشكلانية " لانه قابل بمنتهى الوضوح للتفسير الفرقي للادبية ، يقول جاكبسون : (إن الشعر عندهم منظم مقترف بحق الكلام العادي) ، ففي الشعر يظهر بشكل واضح الفرق بين اللغة العادية واللغة الأدبية ، أي تظهر الشعرية .